"الأمنُ الفكريُّ في نهج البلاغة"

◆ مراجعة: نبيل علي صالح[1]

■ خلاصة

الأمنُ الفكريُّ على الصَّعيد الإسلاميِّ، وبحسب ما وردَ في نهج البلاغة - وهو موضوع الكتاب- يَعني امتلاكَ المسلم للمُرتكزات والأسُس العَقديّة والمَبادئ الإسلاميّة الصَّحيحة، التي تَمنعُه من الانزلاق نحو مواقع الخَللِ والارتكابات؛ بحيثُ تتحقَّقُ عندَه سلامةُ الدِّين ومَعرفتُه به فكرًا وسلوكًا.. ورغم كون هذا المصطلح حديثَ النَّشأة والتَّداول، ولكنَّ التَّدقيقَ في خَلفيّاته يُبيِّنُ لنا أنَّ له كثيراً من الآثار والتَّداعيات والامتدادات التّاريخيّة السّابقة..

يُسلِّطُ هذا الكتابُ الضَّوءَ على موضوعٍ حيويٍّ ودائمِ الأهميّة والحضور، وهو الأمنُ الفكريُّ، حيثُ يُغطِّيه بالكاملِ انطلاقًا من معاييرَ ونصوصٍ وحوادثَ تاريخيّة، مُبرزًا على نحو معياريٍّ ما وردَ في نهج البلاغة من خطب وكلمات لـ(الإمام عليّ) عليه السلام بهذا الشأن، ومُبيِّنًا أنَّ خلاصَ الأمّة ورفعتَها مَرهونان بالقيام بتَنظيف ساحاتها التّاريخيّة بكلِّ ما عَلقَ بها من شَوائبِ الفكر وسلبيّات الرُّؤى التّاريخيّة المُنحرفة والضّالّة التي بَقيت مُسيطرةً وحاكمةً على العقولِ والسُّلوكياتِ في كثيرٍ من مفاصلِ هذه الأمّة ومواقعِها التّاريخيّة والحاضرة.

الكلمات المفتاحية: الأمن الفكريّ- نهج البلاغة- (أمير المؤمنين الإمام عليّ) عليه السلام..

1 - كاتب وباحث سوري.

بطاقةُ الكتاب:

اسم الكتاب: الأمن الفكري في نهج البلاغة.
المؤلف: نبيل الحَسني.
الناشر: مؤسسة علوم نهج البلاغة- العتبة الحسينية- كربلاء- العراق.
الصفحات: ٣١٠ من الحجم الكبير.
سنة النشر: الطبعة الأولى - ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.

محتويات الكتاب

يتألَّفُ الكتابُ من فصلَين فقط، قُسِّمَ كلٌّ منهما إلى عدّة مباحثَ وأصول مَنهجيّة.. ففي المقدِّمة، يُشيرُ الكاتبُ إلى ضرورةِ الأَمنِ بالنِّسبةِ للإنسانِ، بل «هو أَهمُّ ما يَحتاجُه بعدَ الدِّينِ.. ومَن فقدَ الأمنَ يُصبح عيشُه عَليلاً...»[1]..

الفصلُ الأوّل: مفهومُ الأمنِ الفكريِّ في القرآنِ والسُّنة

قام المؤلِّفُ بتَقسيمِ هذا الفصلِ إلى ثلاثةِ مباحثَ، هي:

١ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص. ص٧-٨.

المبحث الأول: مفهومُ الأمنِ الفكريّ وتَعريفُه.

المبحث الثاني: مفهومُ الأمنِ الفكريّ عندَ السَّلَفِ: الوسائلُ والتَّطبيقات.

المبحث الثالث: أكانَت هذه الوسائلُ تَقودُ إلى تحقيق الأمنِ الفكريِّ أم الحَجْرِ الفكريِّ.

ضمنَ هذا المبحثِ، يُعرِّجُ الكاتبُ على عدّةِ مسائلَ، هي:

المسألة الأولى- تعريفُ الأمنِ لغةً واصطلاحًا:

عالجَ الكاتبُ، تحتَ هذا العنوان، مفهومَ الأمنِ الفكريِّ، فانتهى إلى أنَّه مصطلحٌ معاصرٌ، أفرزَتْه التَّداعياتُ والأحداثُ التي عصفَت وتَعصفُ بالأمّةِ الإسلاميّةِ، وهي بالأساسِ لم تكنْ وليدةَ الحاضرِ، بل هي امتدادٌ تاريخيٌّ يعودُ إلى القرن الأوَّل الهجريِّ، عندَما تفجَّرَت صِراعاتٌ نتيجةَ الانقساماتِ السِّياسيةِ، وما وقعَ من ظُلم على آل بيت (الرَّسول الكريم) ﷺ، وتكرَّسَت لاحقًا في كلِّ تاريخِ الأمّةِ، وهذا «كاشفٌ عن فقدانِ الأمنِ والطّمأنينةِ في المجتمع آنذاكَ، وسيطرةِ الخَوفِ والذُّعرِ مَحلَّهُما...»[1]. ويَتناولُ الكاتبُ تعريفَ الأمنِ الفكريِّ في اللُّغةِ والاصطلاحِ انطلاقًا من قواميسِ اللُّغة؛ حيثُ يُفصِّلُ في تعريفِ الأمنِ، ومن ثَمَّ تعريفِ الفكرِ، ثمَّ يُشيرُ بعدَها إلى وجودِ عدّةِ أنماطٍ وأشكالٍ من الأمنِ غيرِ الأمنِ الفكريّ، كالأمنِ النَّفسيّ، والأمنِ الاقتصاديّ، والأمنِ الاجتماعيّ.. ويُبيِّنُ الكاتبُ أنَّ هناكَ الكثيرَ من التَّعاريفِ المُعتمدةِ للأمنِ الفكريِّ (موضوعِ الكتابِ)، ويَتبنَّى مُعظمَها، منها أنَّ "الأمنَ الفكريَّ هو جزءٌ من منظومةِ الأمنِ العامِّ، بل هو ركيزةُ كلِّ أمنٍ، وأساسٌ لكلِّ استقرارٍ، وإنَّ مَبعثَه ومَظهرَه التزامٌ بالآدابِ والضَّوابطِ الشَّرعيّةِ والمرَعيّةِ، التي يَنبغي أن يأخذَ بها كلُّ فردٍ في المُجتمع"[2].

المسألة الثانية- مفهومُ الأمنِ في القرآنِ وأهمُّ ركائزِه:

يُضيءُ الكاتبُ في هذه المسألةِ على أهمِّ أسُس الأمنِ الفكريِّ وركائزِه التي أوردَها القرآنُ الكريم، انطلاقًا من عدّةِ نقاطٍ:

١ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص١٣.
٢ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص ٢٣.

أولًا: الأمنُ الفكريُّ عندَ (إبراهيم الخليل) عليه السلام، ونتائجُه في الحياة

يَستعرِضُ الكاتبُ بعضَ الآياتِ القرآنيّةِ التي تحدَّثَت عن جانبٍ من الحياة الفكريّةِ، التي كانت سائدةً في أرض بابل، زمنَ (النبيِّ إبراهيمَ) عليه السلام؛ حيثُ كانَ يَنتشرُ يومَها كثيرٌ من المُعتقداتِ الوَثنيّةِ ما بينَ عبادةِ الأصنامِ، وعبادةِ الكواكبِ وغيرِها، وأسّس ذلكَ انحرافًا عن جادّةِ التَّوحيدِ ومُعطياته ولوازمه التي دعَت إليها عقيدةُ التَّوحيدِ الابراهيميّ.. ومن تلك الآيات قولُه تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ...**﴾ [الأنعام: ٧٤-٨١]. وهي تُشيرُ إلى أهميّةِ العقلِ في الاستدلالِ الفكريِّ على وجود الله وتوحيده، وأنَّ الأمنَ الفكريَّ لا يتحقَّقُ من دونِ التَّوحيدِ والإيمان، أي «من خلالِ البَراءةِ من تلكَ الأفكارِ المُنحرفةِ والعَقائدِ الضّالةِ التي لا تَهدي إلى الرُّشدِ والصَّوابِ...»[1].

ثانيًا: الأمن الفكريُّ مَشروطٌ بعدَ الشكِّ

يُبيِّنُ الكاتبُ أنَّ "الفكرَ لا يمُكنُ أن يَنالَهُ الأمنُ بوجودِ الشكِّ بالله تعالى، وهو ما كشفَت عنه الآيةُ الكريمة: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٢].."[2].

ثالثاً: إرجاعُ الأمور إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأولي الأمر

وهو أحدُ مُرتكزاتِ الأمنِ الفكريِّ الذي تُشيرُ إليه -كما يُؤكِّدُ الكاتبُ[3]- هذه الآية: ﴿**وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلا**﴾ [النساء: ٨٣].

---

١ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص. ص ٢٥- ٢٨.
٢ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص ٢٩.
٣ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص٣٠.

المسألة الثالثة- مفهوم الأمنِ في السُّنةِ النَّبويّةِ ووسائلُه:

يَشرحُ الكاتبُ في بدايةِ هذه الفقرةِ مَعنى السُّنةِ النَّبويّةِ، مُشيراً إلى أنَّها تَعني قولَ الرَّسولِ وفعلَه وتقريرَه..، ثم يقفُ عندَ كثيرٍ من الأحاديثِ النَّبويّةِ التي أشارَت إلى مسألةِ الأمنِ الفكريِّ، خاصّةً تلك التي تحدَّثَت عن أهميّةِ العقلِ، وضرورةِ حفظِه، و«تأمين سلامةِ الفكرِ الإسلاميِّ من الانحرافاتِ والتَّطرُّفِ.. فقد جاءَت كلمةُ (يَعقلونَ) في الكتابِ الكريمِ ٢٢ مرّةً، وجاءَت كلمةُ (يتفكَّرونَ) ١٠ مرّاتٍ، وكلمةُ (فانظُروا) جاءَت خمسَ مرّاتٍ... بما يكشفُ عن أهميّةِ الفكرِ وإعمالِ العَقلِ لغرضِ الوصولِ إلى الصَّلاحِ والإصلاحِ...»[١].. و(النبيُّ الكريمُ) كان حريصًا على أمّتِه ونجاتِها من الفكرِ الضّالِّ، وهذا الحرصُ دفعَه لاستخدامِ كلِّ وسيلةٍ تَضمنُ تحقيقَ نجاةِ الأمّةِ.. ومن تلكَ الوسائلِ القَصصُ وسَردُ أخبارِ الأممِ السّابقةِ لأخذِ العبرةِ منها، يَقول ﷺ مُحذِّرًا من وقوعِ أمّتِه تحتَ تأثيرِ سُننِ السّابقينَ، وضرورةِ الوَعي بها: «لتَتَّبَعَنَّ سننَ مَنْ كانَ قبلكم حذوَ النَّعلِ بالنَّعلِ، والقذّةِ بالقذّةِ، حتّى لو أنَّ أحدَهُم دخلَ جُحرَ ضَبٍّ لدَخلتُموهُ»[٢]. ومنها أيضًا الوسائلُ التَّعليميّةُ لبيانِ الغرضِ الإرشاديِّ في تحقيقِ الأمنِ الفكريِّ، يقول ﷺ: «ألا إنَّ مَثَلَ أهلِ بَيتي فيكم مَثَلُ سَفينةِ نوحٍ، مَن ركبَها نَجا، ومَن تَخلَّفَ عنها غَرِقَ»[٣].. وأيضًا استخدامُ الأمثلةِ في إرشادِ النّاسِ إلى الحُكمِ الشَّرعيّ[٤]...

ويُشيرُ إلى ضرورةِ أن يَعرفَ المُسلمُ ويَعِيَ حقيقةَ ما جَرى من وقائعَ وأحداثٍ تاريخيّةٍ زمنَ الخلافةِ الأولى، وما حدثَ من صراعاتٍ خلالَها، وما شَجَرَ بينَ الصَّحابةِ، مُعتبراً إيّاهُ أهمَّ مُرتكَزٍ من مُرتكزاتِ تحقُّقِ الأمنِ الفكريِّ عندَ المُسلمينَ...[٥].

وفي المبحثِ الثّاني (التّابعِ للفَصلِ الأوَّلِ)، يتحدَّثُ الكاتبُ عن مفهومِ الأمنِ الفكريِّ عندَ السَّلفِ، مُبيِّنًا أنَّ الصَّحابةَ والسَّلَفَ بعدَ (النبيِّ الكريمِ) ﷺ حَرصوا على بناءِ مَعالمِ الأمنِ الفكريِّ

١ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص٣٣ وما بعدها.
٢ - محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، ج٤، ص١٤٤.
٣ - الحاكم النيسابوري، المُستدرك، ج٢، ص٣٤٣.
٤ - انظر: نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص. ص ٣٥-٥٣.
٥ - انظر: نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص. ص ٥٨-٦٨.

للمسلمينَ، ولكنَّهم اختلفوا في بعض الأساليب، التي اتَّبعوها، عن أساليبِ (الرَّسولِ الكريم) ﷺ، خاصّةً أنَّ «مفهومَ الأمنِ الفكريِّ في القرآنِ والسُّنةِ النَّبويّةِ يَرتكزُ -كما يَرى الكاتبُ- على التمسُّكِ بالثَّقَلَينِ القرآنِ والعترةِ النَّبويّةِ عليهم السَّلام؛ في حينَ كان التَّركيزُ عندَ الخلفاءِ على الاجتهاداتِ والتأويلاتِ الخاصّةِ، وإبعادِ العترةِ النَّبويّةِ عن جميعِ مظاهرِ الحياةِ، وعلى ذلك سارَ الخَلَفُ إلى الآنَ... بما يَعني -كما توصَّلَ الكاتبُ- أنَّ الأمنَ الفكريَّ عندَ عمومِ الصَّحابةِ والسَّلَفِ كان يَعني أمنَ الخِلافةِ والخَليفةِ، وأمنَ المَلِكِ والمَملكةِ، وإلخ»[1].

ويُتابعُ الكاتبُ إضاءتَه التّاريخيّةَ على أهمِّ الوسائلِ والتَّطبيقاتِ التي التزمَها أوَّلُ خَليفتَينِ في الإسلامِ، مُشدِّدًا على أنَّ تلكَ الأساليبَ كانَت بمُجمَلِها بعيدةً عن روحِ الإسلامِ القرآنيّ والنَّبويّ، وكانَت الغايةُ منها تركيزَ وتأبيدَ الأمنِ والحُكمَ الشَّخصيَّ للخلافةِ بما لا يُحقِّقُ شيئًا من الأمنِ الفكريِّ.. مُثبتًا نظرتَه تلكَ على كثيرٍ من الرِّواياتِ والأحاديثِ والوقائعِ التّاريخيّةِ التي جرَت أيّامَ الخلافةِ الأولى، والتي أوردَتْها كتبُ التّاريخِ كالبُخاري، والطَّبقات الكُبرى، وكنز العُمّال، وتَذكرة الحُفّاظ، وتاريخ الإسلام، وغيرها من الرِّواياتِ التّاريخيّةِ المَعروفة...[2].

وفي المَبحثِ الثّالثِ من الفصلِ الأوَّلِ الذي عَنونَه الكاتبُ بـــسؤال: (أكانَت وسائلُ السَّلَفِ تقودُ إلى تحقيقِ الأمنِ الفكريِّ أو الحَجْرِ الفكريِّ؟)، يَعتبرُ الكاتبُ أنَّ ما قامَ به سَلَفُ الخلافةِ الأولى، أيامَ أبي بكرٍ وعمرَ، تسبَّبَ في ولادةِ ثقافةِ حُكمٍ جديدةٍ بعيدةٍ عن روحِ الإسلامِ، أسَّستْ لاحقًا لحُكمِ الطُّغيانِ والمُلكِ العَضوضِ، ووَجَّهَت ضربةً قاصمةً لشيءٍ اسمُه أمنٌ فكريٌّ.. خاصّةً معَ ما جَرى لاحقًا من انتشارٍ واسعٍ للثَّقافةِ الأمويّةِ على حسابِ ثقافةِ الإسلامِ نفسه، ويَستندُ الكاتبُ في نتيجتِه تلك، على كمٍّ كبيرٍ من الأحاديثِ والرِّواياتِ، سلَّطَ فيها الضَّوءَ على أحداثٍ وتَحوُّلاتٍ ووَقائعَ تاريخيّةٍ ثابتةٍ، أبرزَ فيها مواقفَ التزمَها الخلفاءُ أيّامَ حُكمِها، وتركَّزَت على منعِ النّاسِ من المُطالبةِ بالعَملِ بالسُّنةِ، بل ومُعاقَبتِهم على المُطالَبةِ[3]، مضافًا إلى منعِ تَدوينِ سُنّةِ (الرَّسولِ)، (جَرى

١ - راجع: نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص. ص٦٩- ٧٣.
٢ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص. ص ٧٥-١٠٦.
٣ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص. ص ٧٣-٧٤.

في عهد الخليفة عمرَ)[1].. إلى غير ذلكَ من الأساليب التي آلَت بالنَّتيجة إلى حجب ثقافة القُرآن، وتَهشيم مُرتكزاتها وأمنها الفكريِّ، وإصابته بالتَّحجُّر والجُمود، ومنع التَّفاعل والتَّثاقُف، وتأسيس المُناخ المُلائم للعَصبيّات والاضطهاد الفكريِّ، ودَفع الأمّة لحالة من الفَراغ العَقائديِّ نتيجةَ مُحاربة ثقافة القرآن.[2]..

الفَصلُ الثّاني: أصولُ الأمنِ الفكريِّ عندَ (الإمام علي)عليه السلام.. الوسائلُ والتَّطبيقات

في الفصل الثاني - وهو الفصلُ الأساس للكتاب (والذي بَدا معَه الفصلُ الأوَّلُ بمَثابة مُقدِّمة وتمَهيد له)- نلاحظُ أنَّ الكاتبَ يتوسَّعُ أكثرَ في الحديث والتَّحليل الفكريِّ عن قضيَّتَين مُهمَّتَين، أوردَهُما ضمنَ مبحثَين، أوَّلُهما، قراءةُ (الإمام علي) عليه السلام لحياة السَّلَف، وثانيهما، أهمُّ الأصول التي وردَت في نهج البلاغة لتَحقيق الأمن الفكريِّ عندَ الفرد والمُجتمع المسلم...

ففي المبحث الأوَّل، يمُهِّدُ الكاتبُ لحَديثه -الذي يَستهدفُ فيه الوقوفَ على رأي وقناعة (الإمام عليٍّ) بالخلفاء والسَّلَف قبلَه- بوَضعنا أمامَ طبيعة العَلاقة العَميقة الرُّوحيّة والفكريّة التي كانَت قائمةً بينَ (الرَّسول الكريم) صلى الله عليه وآله، وبينَ صِهره وابن عمِّه (الإمام عليٍّ) عليه السلام، الذي سبقَ أن أشارَ وسلَّطَ الضَّوءَ عليها في كثير من خُطَبه ومَواقفه، ويُوردُ الكاتبُ لنا تَصريحًا لـ(لإمام عليٍّ) يُحدِّدُ فيه طبيعةَ هذه العَلاقة أو الشّأنيّة النَّبويّة والخُصوصيّة الرِّساليّة التي خصَّها به (رسولُ الله) صلى الله عليه وآله، فكانَ (الإمامُ) «يُفاخرُ ويُجاهرُ بذلكَ أمامَ الصَّحابة والنّاس مُذكِّرًا إيّاهُم بما اصطفاهُ (رسولُ الله) صلى الله عليه وآله من بين كلِّ الصَّحابة، فيَقول عليه السلام: لقد عَلمتُم مَوضعي من رسول الله بالقَرابة القَريبة والمَنزلة الخصيصة... إلى أخرِ الخُطبة»..[3]..

ينتقلُ الكاتبُ بعدَ إضاءته على العلاقة، بينَ (الرَّسول) صلى الله عليه وآله و(الإمام عليٍّ) عليه السلام، إلى دراسة

١ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص٨٢ وما بعدها.
٢ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص. ص ١٠٦ - ١٤٣.
٣ - انظر: نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص١٤٩.

وتحليلِ ما أوردَتْه الكتبُ التّاريخيّةُ، وعلى رأسِها ما جاءَ في نهجِ البلاغةِ من خُطبٍ وأحاديثَ، حولَ الرأيِ الحقيقيِّ لـ(الإمامِ عليٍّ) في كلٍّ من الخَلفتَينِ (أبي بكر)، و(عمرَ بنِ الخطابِ)؛ حيثُ يُحيلُنا الكاتبُ إلى مُستنَدٍ تاريخيٍّ وَثّقتْه مُعظَمُ كتبِ التّاريخِ ومَظانُّه الرَّئيسةُ، على اختلافِ مدارسِ التّاريخِ الحَديثيّةِ والفقهيّةِ وحتّى العَقديّةِ، والمُستندُ الذي استندَ عليه الكاتبُ هو نصٌّ لـ(الإمامِ عليٍّ) (عليه السلام)، يتحدَّثُ فيه عن بدايةِ الإسلامِ، وما قبلَه، من ظروفٍ وملابساتٍ تاريخيّةٍ، ووقائعَ وأحداثٍ، وطبيعةِ الظُّروفِ التي عاشَتْها الرِّسالةُ في بدايةِ الدَّعوةِ، وما واجهَتْه من تَعقيداتٍ وعَداواتٍ وتَحدِّياتٍ ليسَ من خارجِها بل من داخلِها على يدِ مَن رفعَ لواءَ الدَّعوةِ نفسِها..

«الخطبةُ تُوضِّحُ ما جَرى في الأمّةِ منذُ أيّامِ البعثةِ النَّبويّةِ، وإلى وقتِ كتابتِه عليه السَّلامُ لهذه الرِّسالةِ، قبلَ استشهادِه بشهورٍ قَليلةٍ، ومِن ثَمَّ فقد قدَّمَت هذه الخطبةُ عواملَ التَّجديدِ في البنيةِ الفكريّةِ للمسلمِ، وأسهمَت في بناءِ مَنظومةٍ مَعرفيّةٍ عن الدِّينِ والعَقيدةِ يَستطيعُ المسلمُ من خلالِها أن يُحدِّدَ مسيرتَه في الحياةِ الدُّنيا وما يُقبلُ به على اللهِ في الآخرةِ»[1].. يقولُ (عليه السلام): «...آسى أنْ يَلِيَ أمرَ هذه الأمّةِ سُفهاؤُها وفُجّارُها، فيَتَّخذوا مالَ اللهِ دُوَلاً، وعبادَه خَولاً، والصّالحينَ حَربًا، والفاسقينَ حِزبًا، فإنَّ منهمُ الذي قد شربَ فيكُم الحَرامَ، وجُلِدَ حدًّا في الإسلامِ، وإنَّ منهم مَن لم يُسلِمْ حتَّى رضخَت له على الإسلامِ الرَّضائخُ، فلولا ذلك ما أكثرتُ تأليبَكُم وتأنيبَكُم، وجَمعَكُم وتَحريضَكُم...»[2].

لقد أرادَ (الإمامُ) في إيضاحِ موقفِه من أشخاصِ عهدِ الخلافةِ الأوائلِ، أنَّ يُسلِّطَ الضَّوءَ -ليس على الأشخاصِ- بل على طبيعةِ الفكرِ الذي أنضَجُوهُ وقدَّموهُ على أساسِ أنَّه هو نفسُه رسالةُ الإسلامِ.. أرادَ -كما يُشيرُ الكاتبُ- أن يُقاتِلَ الفكرَ الذي نشأَ في السَّقيفةِ، وتَعاظَمَ في الإسلامِ، وامتدَّ إلى زمنِ معاويةَ وما بَعدَه.. إنَّه فكرٌ وثقافةٌ مُنحرفةٌ «تغلغَلَت إلى المجتمعِ، وخاصّةً إلى أوساطِ النُّخبةِ، بما يتطلَّبُ إجراءاتٍ مُحكَمةً تُحقِّقُ الأمنَ الفكريَّ في الأمّةِ بعدَ أن وصلَتِ الأمورُ إلى هذا المُستوى من الحربِ العسكريّةِ التي تَرتكزُ في جميعِ مُقوِّماتِها ودَوامِها وانتصارِها على العَقيدةِ القتاليّة»[3].

---

١ - انظر إلى نص الخطبة-المستند: نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص١٥٣-١٧٨.
٢ - ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص١٩١.
٣ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص١٨١ وما بعدها.

وفي المبحث الثّاني: أصول الأمن الفكريّ في نهج البلاغة، يَعتمدُ الكاتبُ على رسالة (الإمام عليٍّ) عليه السلام للمسلمينَ عامّةً ولشيعته خاصّةً، لتَظهير تلكَ الأصول، كونُها تَشتملُ في مضمونها على معايير الأمن الفكريِّ، «المُفترض أن يَلتزمَها المسلمُ كي يَنجوَ أوَّلًا، وثانيًا كي يَستطيعَ أن يُسهمَ في بناءِ مُجتمعه، وذلك من خلال نشرِ هذه الأصولِ التي تضمَّنَتْها هذه الرِّسالةُ»[1].

الأصلُ الأوّل: حفظُ حقِّ (عليٍّ) عليه السلام الذي ضيَّعَه المسلمونَ

لا يُمكنُ لأيِّ أمنٍ فكريٍّ (فرديٍّ ومُجتمعيٍّ) أن يتحقَّقَ في أجواءِ الخَلَلِ بتَطبيقِ مَنظومةِ العَدالة، وعدمِ التَّوزانِ الاجتماعيِّ والحياتيِّ، خاصّةً على مستوى تَضييعِ الحقوقِ والتَّلاعبِ بالمَبادئِ العُليا النّاظمةِ لوحدةِ المجتمعِ وأمنه وأمانه واستقراره.. وعلى صعيدِ الاجتماعِ الدِّينيِّ التّاريخيِّ الإسلاميِّ، كانَت هناك أسبابٌ منعَت من الوصولِ لحالةِ الأمنِ الفكريِّ، ويُؤكِّدُ الكاتبُ أنَّ أميرَ المؤمنينَ الإمامَ عليًّا عليه السلام كان يُدركُ أنَّ تَرميمَ العَقيدةِ الإسلاميّة -وبناءَ أمنٍ فكريٍّ حقيقيٍّ- لا بدَّ أن يكونَ بالرُّجوعِ إلى الأسبابِ التي أوصلَت واقعَ المسلمينَ إلى هذا المُستوى من العَبثِ والخَللِ وسيطرةِ الصِّراعاتِ والفِتنَ، "خُصوصًا على صَعيدِ تَضييعِ حقِّه هو بالذّاتِ في قيادةِ الأمّة، بعدَ التَّحزُّباتِ ضدَّهُ، يقولُ عليه السَّلام: أنا مُخرِجٌ إليكُم كتابًا، أُخبِرُكُم فيه عمّا سألتُم، وأسألُكُم أنْ تَحفظوا من حَقِّي ما ضَيَّعتُم، فاقرَؤُوهُ على شيعتي، وكُونوا على الحقِّ أعوانًا..»[2].

الأصلُ الثّاني: القراءة

يَعتبرُ الكاتبُ أنَّ القراءةَ هي من بينِ أهمِّ الأصولِ التي تُوصِلُ إلى الأمنِ، وهي ميزةٌ امتازَت بها مدرسةُ العترةِ النَّبويّةِ عُمومًا عن بقيّةِ المَدارسِ الفكريّةِ في الإسلام، ولا سيَّما مدرسةُ السَّقيفة.. يقولُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام: فاقرؤُوهُ على شيعتي؛ حيثُ لا يُمكنُ على الإطلاقِ تحقيقُ الأمنِ الفكريِّ من دونِ قراءةِ الآخرِ، «ومعرفةِ ما خَفِيَ على الإنسانِ من علومٍ، فبالعِلمِ تُبنى النُّفوسُ والأمَمُ،

١ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص. ص ١٨٢.
٢ - انظر: نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص. ص١٨٣- ١٨٦.

وتَنشأ الحضاراتُ، وبالجهلِ يتحوَّلُ الإنسانُ إلى بهيمةٍ بل أضَلَّ، وهي حقيقةٌ طالَما ذكرَها القرآنُ الكريم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ..»[١].

الأصلُ الثّالث: التَّعاونُ على الحقِّ

يُبيِّنُ الكاتبُ أنَّ أصلَ وقوعِ الانحرافِ وانعدامِ الأمنِ هو التّآزُرُ على الباطلِ، والتَّحزُّبُ له ومُشايَعتُه، ولذلك لا بدَّ «من الالتفاتِ إلى أنَّ التَّعاونَ على الحقِّ سيُثمِرُ عن تحقيقِ الأمنِ الفكريِّ.. وقد جاءَ عن أميرِ المُؤمنينَ (الإمامِ عليٍّ) عليه السلام: وكُونوا على الحقِّ أعوانًا.. وهذه الدَّعوةُ -كما يُشيرُ الكاتبُ- هي دعوةٌ قرآنيّةٌ، فقد قالَ سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]..»[٢].

الأصلُ الرّابع: معرفة أثرِ (النَّبي) صلى الله عليه وآله وسلم في إنقاذ العربِ خاصّة

إنَّ معرفةَ الدَّورِ الكبيرِ والعَميقِ والواسعِ الذي قامَ به (النبيُّ الكريمُ) صلى الله عليه وآله وسلم، على صعيدِ تَنفيذِ تعاليمِ السَّماءِ، وبناءِ مجتمعٍ إسلاميٍّ في جزيرةِ العربِ، في ظلِّ التَّنازُعاتِ القَبليّةِ والصِّراعاتِ المُجتمعيّةِ، هو واجبٌ على كلِّ إنسانٍ مُسلمٍ.. وعلى هذا الصَّعيدِ يُوضِّحُ الكاتبُ أنَّ من أهمِّ الأمورِ التي أدَّت لاحقًا إلى شيوعِ الجهلِ ونشرِ الجاهليّةِ والفكرِ المُنحرفِ هو تَجاهُلُ الدَّورِ الكبيرِ الذي قامَ به (رسولُ الله) صلى الله عليه وآله وسلم في إنقاذِ العربِ خاصّةً.. ويُبيِّنُ الكاتبُ «أنَّ الدّافعَ للتَّذكيرِ بما كانوا عليه من انحرافاتٍ أخلاقيّةٍ ونفسيّةٍ واجتماعيّةٍ إنَّما لتَحقيقِ جُملةٍ من الأمورِ تَدفعُ بمُجمَلِها إلى الأمنِ الفكريِّ، ومنها أنَّ كثيرًا من المسلمينَ قد جاؤُوا إلى الإسلامِ في عامِ الفَتحِ، أي لم يُدرِكُوا من الإسلامِ إلاّ شُهورًا عدّةً، ومن ثَمَّ فإنَّ هذه المُدّةَ غيرُ كافيةٍ في تمَكُّنِ الإنسانِ من الانسلاخِ من بيئتِه وعاداتِه التي نَشأ عليها، وتجذَّرَت طِباعُه فيها، وهذا شكَّلَ عائقًا في تطبيقِ التَّعاليمِ التي جاءَ بها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاحتاجَ إلى التَّذكيرِ..»[٣].. وهذا ما أكَّدَه (الإمامُ عليٌّ) عليه السلام: "أمّا بعدُ، فإنَّ اللهَ بعثَ مُحمَّدًا

١ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص. ص١٨٧- ١٨٩.
٢ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص١٩٠.
٣ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص١٩٢.

نَذيرًا للعالَمينَ، وأمينًا على التَّنزيلِ، وشَهيدًا على هذه الأمّة، وأنتُم مَعاشِرَ العربِ يَومئذٍ على شرِّ دينٍ، وفى شرِّ دارٍ، مُنيخونَ على حجارةٍ خُشُنٍ وحَيّاتٍ صُمٍّ»[1].

ومَعرفةُ دَورِ النبيِّ ﷺ تتطلَّبُ -كما يَرى الكاتبُ- توعيةَ النّاسِ على مُحاولاتِ طَمسِ مَعالمِ الرِّسالة، ومنها إلصاقُهم للكثيرِ من المُمارَساتِ السَّلبيّة بشَخصِ (الرَّسولِ الكريم) ﷺ.. وهذا من الأصولِ الأساسيّة للأمنِ الفكريِّ التي أوردَها الإمامُ عليٌّ عليه السلام.. «حيثُ يجبُ على المؤمنِ مَعرفةُ سننِ الجاهليّة وأخلاقِ العربِ قبلَ الإسلام، كي يَلمسَ حجمَ الجهدِ والجهادِ الذي بذلَه رسولُ الله ﷺ في إنقاذِ البشريّةِ من الضَّلال، فَضلاً عن معرفةِ أنَّ هؤلاءِ المُنافقينَ ما زالوا على تلك الأخلاق، ومِن ثَمَّ يَلزمُ تَحصيلُ وسائلِ المَعرفةِ في فصلِ هذه القبائحِ والرَّذائلِ عن سيرةِ رسولِ اللهِ ﷺ.....»[2].

الأصلُ الخَامس: التّفقّه في الدّين ومعرفة الحلال والحرام

يَعتقدُ الكاتبُ أنَّ التفقُّهَ في الدِّينِ، ومَعرفتَه حقَّ المَعرفة، هو أمرٌ مهمٌّ للوصولِ إلى الأمنِ الفكريِّ، خاصّةً أنَّه يَعني نهلَ تعاليمِ الدِّينِ، وكلِّ ما يتعلَّقُ به من أصولٍ ومبادئَ، من النَّبعِ الصّافي، وهو القرآنُ و(النَّبيُّ الكريمُ) ﷺ و(العِترةُ الطّاهرةُ) عليهم السلام، فمن خلال «التمسُّكِ بهم عليهم السَّلام، يتحقَّقُ الأمنُ الفكريُّ، لجهةِ عدمِ الوقوعِ في البِدَعِ، وتَحريمِ ما أحلَّ اللهُ، وتَحليلِ ما حَرَّمَ»[3].

الأصلُ السّادس: معرفةُ حياة السَّلَفِ وما شَجَرَ بينَهم

يُوردُ الكاتبُ ما ذكرَه (الإمامُ عليٌّ) عليه السلام في هذا الصدد: «فخَشيتُ إنْ لم أنصُرِ الإسلامَ وأهلَه أنْ أرى فيه ثَلمًا أو هَدمًا تكونُ المُصيبةُ به عليَّ أعظمَ من فوتِ ولايتِكُم التي إنَّما هي متاعُ أيامٍ قلائلَ يَزولُ منها ما كانَ كما يَزولُ السَّرابُ...»[4] وهو ما يُشيرُ – كما يُبيِّنُ الكاتبُ- إلى «أنَّ العلمَ بما شجرَ بينَ الصَّحابةِ ومَعرفةَ حياتِهم، هو أمرٌ ضروريٌّ وحيويٌّ، كي يكونَ المسلمُ عالمًا بما يَعملُ في أخذِ دينِه، فيُوالي أولياءَ اللهِ، ويَتبرَّأُ من أعداءِ الله.. أي كي يُحرزَ النَّجاةَ في الآخرةِ ومِن عذابٍ مُقيمٍ..»

١ - ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج٦، ص٩٤.
٢ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص١٩٩.
٣ - انظر: نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص٢٠٢.
٤ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص١١٩.

ولأجلِ ذلكَ تحدَّثَ الإمامُ عليه السلام بما جَرى بينَ المُسلمينَ من تَنازُعٍ في أمرِ الخلافةِ بعدَ وفاة (رسولِ الله) صلى الله عليه وآله، وأنَّ هذا التَّنازُعَ في أمرِ الخلافةِ كان مُفاجِئًا، بحيثُ لَم يَخطرْ في بالِه عليه السلام أنَّ العربَ تَعدلُ هذا الأمرَ بعدَ النَّبيّ صلى الله عليه وآله عن أهلِ بَيتِه[1].

الأصلُ السّابع: حفظُ الإسلامِ لدى النُّخَبِ وتَغليبُ ذلك على المَصالح

وهذا ما يَظهرُ من خلال بيان (الإمامِ عليٍّ) عليه السلام فيما يتعلَّقُ بتَعامُلِه مع حدثِ السَّقيفةِ وإفرازاته في انقلابِ النّاسِ وتَوالي (أبي بكرٍ) و(عمرَ)، وموقفِه معَهما بالنُّصح.. وهذا -كما يُوضِّحُ الكاتبُ- «أصلٌ آخَرُ من أصولِ الأمنِ الفكريِّ، ألا وهو تَغليبُ الإسلامِ على جميعِ المَصالحِ، وهو ما مَيَّزَه عن جميعِ صحابةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، وذلك من خلال تَعامُلِه مع هذه الأحاديثِ بتلكَ الحِكمةِ والرَّويّةِ والصَّبرِ والنَّصيحةِ والجِهادِ في إظهارِ الحُكمِ الشَّرعيّ»[2].

الأصل الثّامن: تَقديمُ النَّصيحة للمُسلم

وهذا ما فعلَه (الإمامُ عليٌّ) عليه السلام، وكان مَظهَرًا مهمًّا وأصيلًا من مظاهرِ تَحقُّقِ الأمنِ الفكريِّ. جاء قولُه عليه السلام: "فصَحِبْتُه مُناصِحًا".. وأيضًا قولُه في حُكمِ (عمرَ بنِ الخَطّاب): «فسَمِعْنا وناصَحْنا وأطَعْنا».. ويَعتبرُ الكاتبُ أنَّ المسلمينَ «لو اتَّخذوا هذا الأصلَ في تعاليمِهم مع بعضِهم لصلحَ حالُهم، ولَشخصَ عدوُّهُم، فضلًا عن أنَّ النَّصيحةَ تَعكسُ عن رُقيِّ النَّفسِ وخُلوِّها من الضَّغائنِ التي تَجرُّ الويلاتِ على العبادِ والبلادِ»[3]. طبعًا تحتَ شرطٍ ومعيارٍ حدَّدَه (الإمامُ) نفسُه، وهو أنَّه لا طاعةَ لحاكمٍ إلا بطاعتِه لله.

الأصل التّاسع: معرفة ما وقعَ من الظُّلم على (الإمام عليّ) عليه السلام

يُبيِّنُ الكاتبُ أنَّ كلماتِ (الإمامِ عليٍّ) عليه السلام، فيما يَخصُّ موضوعَ الحُكم، وما آلتْ إليه شؤونُ السُّلطة، بالطَّريقةِ التي ساروا بها منذُ أيّامِ السَّقيفةِ، «تكشِفُ عن ضرورةِ اطِّلاعِ المسلمِ على مُجرياتِ

١ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص٢١٣.
٢ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص٢١٥.
٣ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص٢١٧.

الأحداث التي سَعى فيها كثيرٌ من الرُّموز الإسلاميّة إلى تشتيت فكر المُسلم ودَفْعه عن حقيقة الإسلام ورُموزه، الذينَ مَن تمسَّكَ بهم فقد حقَّقَ الأمنَ الفكريَّ، في حين أنَّ التمسُّكَ بغير مَن أوصى النبيُّ ﷺ بالتمسُّك بهم (القرآن وعترته أهل بيته) يُعدُّ من الإرهابِ الفكريِّ، وهو ما يَشهدُه العالَمُ الإسلاميُّ اليومَ من خلال الحَركاتِ التَّكفيريّة»[1].

الأصل العاشر: اعتماد النِّظام الانتخابيّ في الوصول إلى الحُكم

يَعتبرُ الكاتبُ أنَّ الإشرافَ على شؤون النّاس، وتقرير مَصير المجتمع، يَجب أن لا يكونَ قائمًا على التسلُّط والجَبر والقَسر، وهو ما سارَت عليه الحكوماتُ التي تلَت وفاةَ (الرَّسول الكريم)، في حين أنَّ نهجَ (الإمام عليٍّ) عليه السلام كان مُختلفًا؛ حيثُ كان يُؤمنُ بأنَّ السُّلطةَ تأتي اختيارًا وطَوعًا لا قَسرًا وفَرضًا، وأنَّ الحريّةَ الفكريّةَ والسِّياسيّةَ هي التي تُحقِّقُ الأمنَ الفكريَّ في المجتمع، "وهو ما أسَّسَه عليه السَّلام حينَما بايَعَه المسلمونَ، فقال: ودعوتُ النّاسَ إلى بَيعتي، فمنْ بايَعَ طائعًا قَبلتُه منهُ، ومَن أبى لم أُكرِهْه»[2].

الأصلُ الحادي عشر: الطَّمعُ في السُّلطةِ سنامُ الحركاتِ التَّكفيريّة

يُبيِّنُ الكاتبُ أنَّ المرحلةَ السِّياسيّةَ التي مرَّت بها الأمّةُ مع بدايةِ عصرِ الخلافة، وما جَرى لاحقًا من أحداث، أسَّسَت لنهجٍ سياسيٍّ يقومُ على العصبيّة والإقصاء واحتكار السُّلطة، وهذا ما أسهَمَ في هدم بنيان الأمن الفكريِّ في الأمّة، الذي امتدَّ ليَطالَ لاحقًا كافّةَ مفاصلها، ولهذا لا بدَّ من مواجهة الفكرِ «الإقصائيِّ التَّكفيريِّ الذي أحلَّ قتلَ المسلم، ونهبَ ماله بكلِّ الوسائلِ المُمكنة؛ لما لهذا الفكرِ من ضررٍ كبيرٍ على الأمّة وأمنها، وذلكَ أنَّهم لن يَدَعوا بَشرًا أو حَجرًا حتى يَصلوا إلى السُّلطة، فهذه الأطماعُ السُّلطويّةُ أساسُ انعدامِ الأمنِ في كلِّ أمّةٍ من الأمم، وعلى مرِّ الزَّمانِ والمكان»[3].

١ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص٢٢٠.
٢ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص٢٢٣.
٣ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص٢٢٦.

الأصل الثّاني عشر: توعيةُ المسلمينَ على حقيقة أهلِ البِدَعِ والمُنتحِلينَ للدِّينِ وكيفيّةُ مُواجهتِهم

يُسلِّطُ الكاتبُ الضَّوءَ هنا على قضيّةٍ مُهمّة، وهي أنَّ فشلَ المسلمينَ في تحقيقِ أمنِهم الفكريِّ يَعودُ إلى هَيمنةِ نَزعاتِ الجشعِ والطَّمعِ على نفوسِ حُكّامِهم وجَماعاتِهم ونُخَبِهم، خاصّةً أولئكَ الذينَ استلموا الحُكمَ بالغَصبِ والقوّةِ والإكراه، مُعتبرًا أنَّه لا سبيلَ لاستعادةِ الأمنِ الفكريِّ – والتَّوازنِ النَّفسيِّ الفكريِّ- من دونِ مواجهةِ أهلِ الانحرافِ والبِدَعِ، والكشفِ عن مواقعِ الزَّيفِ والضَّلالِ والبُهتانِ، وإعادةِ التَّركيزِ على قِيَمِ الإسلامِ الأصيلةِ في بناءِ الشَّخصيّةِ الإسلاميّةِ المُتوازنةِ، القائمةِ على فضائلِ الخيرِ والحقِّ والعَدل.

الأصل الثّالث عشر: إحياءُ ما أحياهُ القرآنُ وإماتةُ ما أماتَه القرآنُ

يُبيِّنُ الكاتبُ "أنَّ الإمامَ عليًّا عندَما قال: فقبلتُ منهم، وكففتُ عنهم، إذ وَنيتُم وأبيتُم، فكانَ الصُّلحُ بينكُم وبينَهم على رَجُلَينِ، يُحييانِ ما أحيا القرآنُ، ويُميتانِ ما أماتَ القرآنُ. فهو يُريدُ أن يُؤكِّدَ على أهميّةِ إحياءِ العملِ بكتابِ اللهِ تعالى، لأنَّه قاعدةُ ورَكيزةُ أيِّ أمنٍ فكريٍّ للمُسلمِ"[1].

الأصل الرّابع عشر: تعريفُ النّاسِ أنَّ العدوَّ الحقيقيَّ للمسلمينَ هم الطُّلقاءُ وأبناؤُهم وأشياعُهم، فهم أهلُ البِدَع

يَعتقدُ الكاتبُ أنَّ "وظيفةَ كلِّ عالمٍ ومُتعلِّمٍ وذي شأنٍ -قد وُكِلَ إليه أمرُ النّاسِ سواءٌ في الأسرةِ أو العملِ أو المجتمعِ بمُنظَّماته وهَيئاته وجَمعيّاته- التَّعريفُ بأنَّ العدوَّ الحقيقيَّ الذي تَلزمُ محاربتُه هم الطُّلقاءُ وأبناؤُهم، أي بَنو أميّةَ وأشياعُهم، ومُنتحِلُو سُنَّتِهم ومِنهاجِهم وأفكارِهم، فهؤلاءِ قادةُ الانحرافِ الفكريِّ في الأمّة"[2].

١ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص٢٣٥.
٢ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص. ص٢٣٧- ٢٤٠.

الأصل الخامس عشر: محاربةُ العدوِّ تَقتضي البناءَ الفِكريَّ

لا يمُكِنُ بناءُ أيِّ فكرٍ سليمٍ، وتَحقيقُ الأمانِ الفكريِّ للفردِ والمجتمعِ، من دون النَّظرِ والتَّدقيقِ فيما يُواجهُه من مَخاطرَ وعداواتٍ، خاصّةً التّاريخيّةَ منها، والتي اكتسبَت شرعيّتَها بالقوّةِ والتَّسلُّطِ. هُنا يُبيِّنُ الكاتبُ «أنَّه من الضَّرورةِ اعتمادُ برنامجِ عملٍ فكريٍّ ونَفسيٍّ لخَوضِ تلكَ المُواجَهةِ، كي يَحصل الإنسانُ على الثِّمارِ الإيجابيّةِ النّاجمةِ عن مُحارَبةِ العدوِّ، لا سيَّما أهلُ البِدَعِ والشُّبهاتِ والانحرافِ الفكريِّ»[1].

الأصل السّادس عشر: الدّافع في تحقيق الأمنِ الفِكريِّ، حفظُ الأمّةِ من أن يَلِيَ أمرَها سفهاؤُها وفُجّارُها

في هذا الأصلِ يَضع (الإمامُ عليٌّ) عليه السلام المعيارَ الأهمَّ لتَحقُّقِ الأمنِ الفكريِّ، وهو مُحارَبةُ كلِّ ما من شأنِه أن يُؤدِّيَ إلى استلامِ سُفهاءِ الأمّةِ وفُجّارِها أمرَ النّاسِ.. يقول (الإمامُ عليٌّ): «ولكنَّ أسفًا يَعتريني، وحُزنًا يُخامِرُني، من أن يَليَ أمرَ هذه الأمّةَ سُفهاؤُها وفُجّارُها، فيَتَّخذوا مالَ الله دُولًا، وعبادَ الله خَولًا، والصّالحينَ حَربًا»[2]. ويَعتبرُ الكاتبُ أنَّ أحوالَ المسلمينَ، والتَّغيراتِ التي طرأتْ عليهم لجهةِ انهيارِهم الحَضاريِّ وتكرارِ أزماتِهم، كانَت نتيجةً للمُقدِّماتِ التّاريخيّةِ التي حدثَت سابقًا، والتي تتجلّى في «انحرافِ الأمّةِ الفكريّ عن القرآنِ والسُّنّةِ المُحمَّديّةِ النَّقيّةِ، وأنَّ هذا الانحرافَ الفكريَّ قد قادَها إلى الخضوعِ لِما هو مَوروثٌ عَقديٌّ دونَ أيِّ تَنقيحٍ وتَمحيصٍ، وكأنَّ حالَ الأمّةِ لا يَمُتُّ لأحدٍ من أبنائِها بشَيءٍ ولا يَعنيه أمرُها»[3].

الأصل السّابع عشر: التمسُّكُ بـ(عليِّ بن أبي طالبٍ) عليه السلام وطاعتُه يُحقِّقانِ الأمنَ في الدُّنيا والآخرة

يَعتقد الكاتبُ أنَّ زبدةَ القصّةِ كلِّها، «يُمكنُ إجمالُها في هذه الحقيقةِ، التي تخلَّفَ عنها السَّلَفُ، فدَفعوا من دمائِهم وأموالِهم وأبنائِهم ثمَنًا لها، وإنَّ الخَلَفَ لو اتَّعظوا من السَّلفِ وتَحقَّقوا في تلكَ

١ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص٢٤٤.
٢ - ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج٦، ص١٠٠.
٣ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص٢٥٥.

النَّتائج لأنقَذوا أنفسَهم وأبناءَهُم.. وأنَّهم لو تمسَّكوا بنَهجِ الرَّسولِ وأهلِ بَيته، عترته الطّاهرة، لأفلَحوا وتمَكَّنوا.. والحالُ أيضًا لا يَحتاجُ -يُتابعُ الكاتبُ- إلى بيانٍ لما وصلَت إليه الأمّةُ من فقدانٍ للأمنِ والأمانِ في جميعِ مجالاتِ الحياة، ولو أُعيدَ للأمّة رُشدُها في اتِّباعها جادّةَ الحقِّ، ورُجوعها إلى القرآنِ والسُّنة المُحمَّديّة، اللَّذَين أمَرا بالتمسُّك بعَليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السَّلام لَعَمَّ الأمنُ فيها، ولَعاشَتْ حياةً كريمةً في الدُّنيا ونَعميًا مُقيمًا أبدًا في الآخرة»[1].

في نهايةِ هذه المُراجعة لهذا الكتابِ المُهمِّ، نُنوِّهُ بالجهدِ المَبذولِ، والمُتابعةِ الفكريّة للكاتبِ في ملاحقته لمَسيرةِ حركةِ الدَّعوةِ الإسلاميّة منذُ بداياتِ نزولِ الرِّسالة، لإنجازِ كتابه، ووقوفه التَّحليليِّ على أهَمِّ ما رافقَ تلكَ المرحلةَ من أحداث وتغيُّراتٍ مِفصليّةٍ، كان لها بالغُ الأثرِ على مستقبلِ الإسلامِ والمسلمينَ.

١ - نبيل الحسني، الأمن الفكري في نهج البلاغة، ص٢٦١.